المبحث الرابع
زوجيـة الحياة

لاشك أن أول من أشار للزوجية، في وقت كان العالم كله قاصراً عن الفهم الدقيق للزوجية- هو القرآن الكريم» .

من محاضرة د: جونسون في
أحد مؤتمرات الاعجاز العلمي

تمثل الحياة الشغل الشاغل لفكر الإنسان منذ أن نزل إلى الأرض، محاولاً فهم كيفية نشأة الحياة وتطورها وكيفية سير أحداث الحياة داخل الكائن الحى نفسه، وكيف تتوقف تلك الاحداث ويموت الكائن الحى؟؟؟

لقد كانت الحياة فى الماضى تمثل لغزاً محيراً، ومع بداية الإنسان للتعليم والبحث عن الحقيقة بدأت تتكشف تلك الاحداث ويفك ذلك اللغز المثير «لغز الحياة»، فكشف الإنسان التركيب الحيوى للكائن الحى من أعضاء والأعضاء من أنسجة والانسجة من خلايا، والخلايا من مواد خلوية، ثم النواة الموجود بداخلها المادة الوارثية التى تتحكم فى كل نواحى التوجيه والتكوين الخاص بكل خلايا الجسم.

كان مفهوم الإنسان بداية عن سبب استمرار الحياة هو وجود الحياة بصورة زوجية تتمثل فى شكلها الطبيعى فى وجود الذكر والانثى، واللذين يحدث بالتقائهما وممارسة كلاً منهما لوظيفة التكاثر الحفاظ على الجنس والنوع من الأنقراض، وفى ذلك تتضح الاهمية البيولوجية لوظيفة التكاثر.

ومع التقدم العلمى الذى شهدته البشرية، بدأنا نكتشف صوراً أدق لهذه الزوجية، بل يمكننا القول بأنها تمثل الصورة الطبيعية لكل شىء موجود- سواءً كان حياً أو غير حى، واذا كنا نتحدث فى بحثنا هذا عن زوجية المادة الحية، فانَّ اهتمامنا بذلك لأن هذه المادة تمثل ذاتنا، فما نحن إلا مادة حية لها بنيانها ووظيفتها وأهميتها البيولوجية.

تتضح زوجية الحياة على المستوى الدقيق فى المادة الغذائية الحاملة لكل برنامج الحياة الخاص بالكائن الحى، فمادة الدنا الوراثى «D.N.A» تتواجد فى صورة شريط مزدوج مكون من شريطين مفردين يحمل كلاً منهما قواعد آزوتية مكملة للقواعد المحمولة على الشريط الآخر، وهذا يوفر لنا امكانية علاج الخلل الوراثى، ومن ثمَّ تكون زوجية الحياة هى أداة الصيانة والاصلاح عند حدوث خلل فى مادة الحياة، وبشرط ألاَّ يصل توقيت الإصلاح إلى ميقات الموت، والذى لايجدى عنده أى اصلاح.

تتضح الزوجية لـلمادة الحية أيضاً فى التقاء الحيوان المـنوى «أحادى المادة الوراثية» بالبويضة «أحادية المادة الوراثية» لتنتج الخلية الجنينية الأولية «زوجية المادة الوراثية»، ثم تبدأ الخلية الجـنينية الأولية فى الانقسام إلـى خليتين ثم الى أربع خلايـا، ثم الى ثمانى خلايا، ثـم إلى ستة خـلايا، ثم إلى اثـنين وثلاثـين خليـة، ومن الملاحظ عـدم حدوث انقسام إلى أعداد فردية، وإنما يحدث الانقسام إلى أعداد زوجية من الخلايا.

كما ترى الزوجية فى المـستويات غير الدقيقة فى الأعضاء المختـلفة للجسم، وهذا يرتبط بأدائهـا الوظيفى ودورها البيولوجى المتـوقع، ومن أمثلة ذلك الرئتين والـكليتين والبطينين والأذينين لـلقلب، ووجود فصين للمخ، فكين فى الفم، ومـدخلين أنفيين، ووجود يدين ورجلين، وهذا يؤكد وجود الزوجيـة فى المستوى الوراثى الدقيق وحتى المستوى العضوى الكبير.

وقد أشار القرآن الكريـم إلى هذه الزوجية الحياتية، وذلك فى قولـه الله تعالى فى الآية (٤٩) من سورة الذاريات: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

وقوله تعالى فى الآية (١٢) من سورة الزخرف:

﴿وَالَّذِى خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾.

وقوله تعالى فى الآية (٣) من سورة الرعد:

﴿وَهُوَ الَّذِى مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.